

تقرير صحفي

06 أكتوبر 2016 . مدة القراءة 4-5 دقائق

افتتحت اللاجئة السورية زهور المصري مدرسة الكاراتيه الخاصة بها في مدينة هورن. تلقينا هذه المعلومة من أحد القراء بعد أن أطلقنا يوم الاثنين البرنامج البحثي " القادمون الجدد إلى هولندا"، حيث التقينا بامرأة قوية الإرادة تشعر بالفخر كونها تمكنت من كسب دخلها المالي الأول بعد تسعة أشهر فقط من قدومها إلى هولندا.

هكذا تكافح هذه الفتاة السورية للتخلي عن المعونة المالية في مدينة هورن

مراسل مشروع " القادمون الجدد إلى هولندا"



ديك فيتينبيرغ

تصوير نيلز بليكمولن (المراسل)



من دون ضوضاء، ومن دون خطاب يلقيه عمدة المدينة، وحتى من دون باقات الزهور، شهد المركز الاجتماعي " زاخاند" في مدينة هورن حدثاً متميزاً.

فقد أعطت السورية زهور المصري، التي بدأت حياتها كلاجئة في هولندا منذ مطلع العام الحالي، أول درس مدفوع الأجر في رياضة الكاراتيه. وهي تفخر بكل يورو تكسبه في هذا العمل من شأنه أن يسهم في تقليص المساعدة المالية التي تتلقاها من الدولة. وقامت بنفسها بإعداد البرنامج الخاص بدورة الكاراتيه، الأمر الذي لا يمكن لعمدة المدينة الاعتراض عليه.

قبل ربع ساعة من انطلاق الدرس الأول، تجمّع الأطفال بحماسة عالية عند المجمع السكني الذي تعيش فيه زهور مع زوجها وأثنين من أبنائها. وقاموا بقرع الأجراس في عجلاتهم الهوائية لجذب انتباه مدربتهم إليهم. وقد أتى هؤلاء الأطفال من كل صوب وحذب، وقد كان معظمهم من اللاجئين، إضافة إلى أطفال آخرين مقيمين من أصول مغربية وتركية. وسار الجميع في أعقاب مدربتهم زهور باتجاه مبنى المركز الاجتماعي للحي.





في العام الماضي، فازت الفتاة السورية "زهور"، التي تبلغ 28 عاماً من العمر، بالميدالية البرونزية في بطولة سوريا للكاراتيه في وزن تحت 60 كغم.

اليوم، تقف هذه الفتاة بشموخ، قابضة يديها وهي على أهبة الاستعداد في صالة الألعاب الرياضية التابعة لأحد المراكز الاجتماعية الهولندية.. حيث يجتمع ستة و عشرون طفلاً تتراوح أعمارهم بين 4 أعوام و14 عاماً، من الذكور والإناث، حفاة الأقدام، في صمت مطبق وهم يرتدون أطقم الكاراتيه أو الملابس الزاهية. بضغطة واحدة على جهاز التحكم لأجهزة الصوت، تعالَى في القاعة صوت الموسيقى الأثري، بإيقاع يساعد على الاسترخاء والتنفس البطيء. انحنت زهور انحناءً بسيطة، وتحولت بين برهة وأخرى إلى كتلة مشعة بالطاقة تنبعث منها وهي تؤدي عدد من الضربات باليدين، ومجموعة من الرفسات الهوائية المتنوعة، وكانت تردد مع كل رفسة بصوت عالٍ " هوي" (hoi) التي كانت تنطلق من أعماقها. وبانحناء صغيرة أنهت استعراضها كما بدأت.

وقالت بصوت تردد في أرجاء الصالة الرياضية وهي توجه نظرها نحو المتدربين: "هذا ما سأقوم بتعليمكم إياه." ثم توجهت نحو أولياء الأطفال الجالسين على الكراسي المحاذية للجدار، وجلهم من الأمهات،

قائلة: " هذا ما سأقوم بتلقيه لأبنائكم." قالت ذلك باللغة الهولندية، رغم أن نطقها للغة لا يزال غير سليم. وفيما تبقى من الدرس، أعطت كافة التوجيهات بالهولندية، رغم أن الإيماءات التعبيرية الصادرة عنها كانت مفهومة من قبل الجميع.





حياة زهور في سوريا

تعتبر رياضة الكاراتيه بالنسبة للفتاة ذات الثمان وعشرين ربيعاً مصدراً للنشاط الحيوي. وقد رافقها والدها إلى دروس الكاراتيه عندما كانت لا تزال في سن الرابعة من عمرها، وهو ما يقارب الآن عمر ابنتها "رفيف". حيث أظهرت منذ البداية أنها تمتلك موهبة طبيعية في هذه اللعبة. وقد كان والدها يسمح لها أن تتنازل أطفالاً أكثر تقدماً في اللعبة، وكانت غالباً ما تجاريهم في المهارة. ولكن بعد أن تزوجت زهور منذ ثماني سنوات في دمشق، وحملت من أبنها "عمر"، الذي أصبح عمره الآن ما يقارب السبع سنوات، بدأت مرحلة "الأوقات العصيبة" في حياتها. هذا ما أطلقته على تلك الفترة التي دأبت فيها على الانتقال من مكان لآخر. فقد كانت السنوات الأخيرة أشد الأوقات ارباكاً حين اندلعت الحرب الأهلية. وتعرض منزلها للتدمير، حيث اضطرت زوجها "محمد"، الذي يبلغ الآن 35 عاماً، إلى الفرار من سوريا عام 2014.

وفي تلك الحقبة تحديداً، بدأت زهور تبحث مجدداً عن ملاذ آمن في رياضتها المفضلة التي دائماً ما منحتها القوة: من خلال والدها وأصدقائها الممارسين للكاراتيه. واتخذت سريعاً قرارها للتدرب من أجل المشاركة في بطولة سوريا للكاراتيه، مخالفة بذلك كل منطق.



قام أحمد معروف بالمساعدة في ترتيب هذه الصور على هاتفها الشخصي

وكونها لم تتدرب لسنوات عديدة ضمن المستويات العليا في الكاراتيه، كما يطلق عليها في رياضة الدفاع عن النفس، فقد كانت تعتبر متأخرة مقارنة بالآخرين. لكنها واطبت على التدريب رغم معاناتها من غياب زوجها محمد الذي وصل إلى هولندا في شهر سبتمبر (أيلول) من عام 2014 ونال حق الإقامة في شهر مارس (آذار) من عام 2015. وقد واطبت بجد على التدريبات على الرغم من عدم يقينها من لم شمل الأسرة من جديد. وقد توجب عليها السفر إلى لبنان بهدف الوصول إلى هولندا بصورة شرعية. وقد كانت قبل ذلك تملك الوثائق الثبوتية الصحيحة على العكس من أبنائها الذين لم تكن عندهم هذه الوثائق. لذا فقد اضطرت للاستعانة بالمهريين لاجتياز الحدود برفقة جدهم رجل الكاراتيه. لقد أطلعنا زهور على صورتين تحتفظ بهما في هاتفها الشخصي، وتحتلان أهمية كبيرة لديها. الأولى، صورة شخصية لها تمتاز بالشاعرية وترمز لأنوثتها، والثانية أثناء ممارستها التدريب وهي ترمز لقوتها ك لاعبة كاراتيه.

حياة زهور في هولندا

في يوم 13 يناير (كانون الثاني) من هذا العام التأم أخيرا شمل العائلة واجتمعت زهور مع زوجها "محمد" وأبنائها الاثنتين. وقد وصف زوجها اجتماعهم هذا " بالمعجزة". وبعد وقت قصير، بدأت تخطط للمباشرة بفتح مدرسة الكاراتيه في مدينة "هورن". حيث تقول زهور في هذا الشأن " أن عقلي مليء بالأفكار، وهي أفكار رياضية وتجارية على حد سواء".





ففي البداية، طرقت أبواب المركز الاجتماعي للحي، بعد أن أحالتها البلدية إليه. كما أبلغتها البلدية بضرورة أن تكون مسجلة في مؤسسة "ويركسام" WerkSaam، وهي الجهة الوسيطة التي تسهل الحصول على الوظائف في منطقة غرب فريسلاند.

"أبدلوا محاولة لدى المركز الاجتماعي للحي"، كانت هذه هي العبارة التي سمعتها هي وزوجها من المسؤولين في البلدية. وبذلك، تعلمت زهور المثل الأول في اللغة الهولندية: "أن ترسل أحداً ما من الدولاب نحو الجدار"، ويعني هذا المثل، أن ترسل الشخص من مكان لآخر دون جدوى ودون تقديم المساعدة الحقيقية التي ينتظرها هذا الشخص.

لقد قررت زهور أن تأخذ الأمر على عاتقها، وقامت بإعداد دروس الكاراتيه التجريبية في الساحة المخصصة للعب لعدم وجود قاعة.

ولكونها تفاعلت في وقت قصير وأبلغت بالفعل العديد من الأمهات اللاجئات عن برنامجها المقترح، فقد تمكنت من جمع العديد من الأطفال للانتظام في هذه الدروس، مقابل رسوم بلغت 10 يورو في الشهر للطفل الواحد، كي تتمكن زهور من استئجار الصالة الرياضية في المركز الاجتماعي لمدة ساعتين في الأسبوع.

تقول زهور "أنا أحب الأطفال، وأحب الكاراتيه. أعتقد أن الكاراتيه تعطي الأطفال درسا في الحياة. فالكاراتيه تعلم الأناسان تطوير قواه الجسدية واستخدامها بطريقة منضبطة. الكاراتيه هو فن الدفاع عن النفس الذي لا يدع مجالا للعنف".



تحقق زهور من خلال دروس الكاراتيه دخل مالي يصل إلى 150-180 يورو شهريا. وسوف يتم خصم هذا المبلغ من المساعدة الاجتماعية التي تحصل عليها. لذلك، من الناحية العملية، لن يحصل تغيير في دخلها المالي. لكنها تشعر الآن بفخر كبير يفوق ما حققته عند حصولها على الميدالية البرونزية.

بعبون لامعة، تقول هذه السيدة التي درست التمويل المصرفي لأربع سنوات جامعية في سوريا: "أنا أكلف هولندا الآن أعباء أقل، والعائدات التي أحصل عليها الآن أكثر أهمية من المساعدة الاجتماعية". وتضيف "يوما ما، سأسدد هذه المستحقات مع الفوائد المستحقة عليها."

إن هذا التقرير الصحفي هو جزء من مبادرة "القادمون الجدد إلى هولندا". و لم يكن ممكناً إعداد هذا التقرير من دون المساهمة المالية المقدّمة من مؤسسة "ديورافتا" (Dioraphte).